بسم الله الرحمن الرحيم (كيف يتلى القرآن حق تلاوته؟)

في خبر إذاعة للقرآن في خير دولة عرفها تاريخ المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة (بل القرون العشرة الأخيرة) برنامج بعنوان: (تعليم التلاوة) يُفتتح بقول الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ ظناً منه معلم هذا البرنامج والقائم عليه ومعهما أكثر المشتركين فيه والمستمعين إليه - تبعاً - أن الالتزام بما يسمى (أحكام التجويد) تحقق لشرع الله في هذه الآية الكريمة.

وإنما أتي الجميع من جهلهم بأقوال المفسرين القدوة، واعتمادهم على أنفسهم وفكرهم وهواهم، واتباع كل ناعق في القول على الله بغير علم.

أما المفسرون القدوة في القرون المفضلة فمنهم من قال بأن المقصود بهم: من آمن من اليهود والنصارى (قتادة، واختاره ابن جرير رحمهما الله)، ومنهم من قال بأن المقصود بهم: من إذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة وإذا مر بذكر النار تعوذ بالله من النار (عمر رضي الله عنه)، ومنهم من قال بأن المقصود بهم: من يحل حلاله ويحرم حرامه ولا يحرف الكلم عن مواضعه (ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم)، ومنهم من قال: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه (الحسن البصري رحمه الله)، وليس منهم من قال بأنهم المتقنون للتجويد.

وإنما أتي من بعدهم بتصديقهم - دون تثبت - قول الناظم: (والأخذ بالتجويد حتم لازم)، وقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله (وهو من نوادر من اهتم بمعرفة التجويد من علمائنا الأوائل) عن دعوى مدرس للتجويد أن التجويد العملي واجب على كل مسلم ومسلمة مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ فأجاب بتاريخ ١٣/١١/١٤١٥ بقوله:

(لا أعلم دليلاً شرعياً يدل على وجوب الالتزام بأحكام التجويد، أما قول الله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ فهو يدل على شرعية التمهل بالقراءة وعدم العجلة) ويؤيده قول الله تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾.

وسئل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عن رأيه في تعلم التجويد والالتزام به فأجاب بقوله في كتاب العلم ص ١٧١:

(لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التجويد التي فصّلت بكتب التجويد، وإنما أرى أنها من باب تحسين القراءة، وباب التحسين غير باب الإلزام ... وليعلم أن القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تبرأ به الذمة أمام الله عز وجل في إلزام عباده بما لا دليل على إلزامهم به من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو إجماع المسلمين، وقد ذكر شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في جواب له أن التجويد حسب القواعد المفصلة في كتب التجويد غير واجب. وقد اطلعت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول حكم التجويد قال فيه ص ٥٠ ج ١٦ من مجموع ابن قاسم رحمه الله للفتاوى: (ولا يجعل همته فيما عجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في مخارج حروفه وترقيق وتفخيم وإمالة والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط، أو غير ذلك؛ فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه).

قلت: وقد كرر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذه الفتيا عدة مرات في (نور على الدرب - إذاعة القرآن الكريم من الرياض)، فهو لا يرى وجوب الالتزام بغير الرسم العثماني والإعراب المألوف وكلاهما لازم لتدبر كلام الله تعالى. ولا أرى وجه التحسين القراءة بالإشمام في (تأمنا) والإمالة في (مجراها) والسكتة اللطيفة في (من راق) ونحوها، ولا في القلقلة الكبرى، ولا في التفريق بين المد المتصل والمنفصل (وجوباً أو جوازاً)، بل كل ذلك ونحوه - كما نقل عن ابن تيمية رحمه الله: (حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه)، بل هو - في رأيي - تفسير لما يسّره الله من كلماته لنذكره. وقال بمثل قول ابن تيمية سلفه ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) وخلفه ابن القيم في (إغاثة اللهفان) رحمهم الله جميعا. ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كراهته للإدغام والسكتات عند حمزة رحمه الله، وعن غيره كراهة الترقيق. وقال بعض طلبة العلم المتأخرين من المأخوذين باصطلاح الوسطية الجديد: بأن الالتزام بأحكام التجويد المحدثة غير واجب بل هو نافلة، ولم يأتوا بدليل

بدليل شرعي واحد على مشروعية هذه الأحكام جملة وتفصيلاً، ولا يجوز أن نحكم بالوجوب ولا بالنفل ولا بالجواز ولا بالإباحة في شيء مما يتعبد لله به بغير دليل صريح صحيح، قال الله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾؟.

وقد يقبل من أحكام التجويد المحدثة ما يؤيده شرع الله في عمومه مثل: الإظهار لأبد حرفاً أصلياً أنزله الله تعالى في كتابه لابد من التلفظ به بقدر استطاعة المسلم وموافقته للغة قوم العربية الفصيحة، وقد تقبل القلقلة الصغرى لإظهار الحرف الساكن الذي لا يظهر إلا بشرط ألا يبدل السكونة بحركة أخرى مثل الكسرة كما يفعل كثير من القراء عند لفظ ﴿قدير﴾ و ﴿أبواب﴾ و ﴿لمبراهيم﴾ فهذا تنطع منكر قد يصل إلى التحريف والتبديل عياذاً بالله. وما نهى عنه من مكايد الشيطان ومصايده صد المسلم عن تدبر آيات القرآن الكريم (وهو فرض من فرائض الله) بما دونه ذلك من النوافل فضلاً عن مشقة معلم هذا البرنامج (وما يمارسه من البرامج في هذه الإذاعة وما دونها من الإذاعات) وتشدقه وتفيهقه وتنطعه بالمصطلحات المحدثة مثل: الاستعلاء والاستفال والانطباق والانفتاح والرقم والإشمام ونحوها.

وإذا جاز تكلف القلقلة الصغرى لإظهار حرف أنزله الله تعالى بلسان قريش فكيف يجوز تكلف إخفاء حرف أنزله الله بلسان العرب قوم رسوله؟ لا عجب، فالتكلف والتقليد (بلا دليل) يبعد الله العبد عن الشرع والعقل فيلزم نفسه وغيره بعبادة الله بما لم يشرعه تقرباً إليه بالغلو والابتداع والإسراف والانشغال بذلك عن هدي الله تعالى وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾، وورد في الأثر أن من علامات الانحراف عن السنة: (كثرة القراء وقلة الفقراء)، ونرى اليوم كثرة الحرص على تحفيظ القرآن وتجويده وندرة العمل على تدبره، وحتى يضمن الشيطان صرف طلاب العلم

عن التدبر إلى الحفظ والتجويد سئل لبعض الدعاة إلى الله صرف اهتمامهم إلى سرعة الحفظ (بعد سبعة وعشرين يوماً وستة يوماً).
وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أصحابه رضي الله عنهم عن قراءة القرآن في أقل من سبع (عند البخاري) وثلاث (عند غيره) خشية من عدم تدبره حقه تدبره فكيف بالتنافس على سرعة حفظه؟
وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من شباب (يحقر الناس قراءتهم عند قراءتهم ولكنه (قراءتهم للقرآن لا تتجاوز تراقيهم) لأنهم لا يفقهونه ما يقرؤونه وبالتالي لا يعملونه بل بأهوائهم فيميلونه عن السنة ويخرجون على الجماعة والإمام.
وذكر ابن تيمية رحمه الله من أصناف من يسيء سماع القرآن [ومثلهم من يسيء تلاوته] قوم يسمعونه ولا يفقهونه [وأتى لهم العمل به بلا تبليغ] مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً﴾. (مجموع الفتاوى ج ١٦ ص ٨-١٢).
وتلاوة القرآن حقه تلاوته لا يعني أنه تتحقق إلا بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تميزت تلاوة كتاب الله الذي أنزل الله على قلبه بأربع ليست أكبرهم المجودين ولا تبرز بين قواعد التجويد المحدثة:
١) كانت قراءته مداً: يمد ﴿بسم الله﴾ ويمد ﴿الرحمن﴾ ويمد ﴿الرحيم﴾.
٢) وكان يترسل في قراءته فلو شئت لعددت حروفها حرفاً حرفاً.
٣) وكان يقف على رؤوس الآي كما شرع الله لعباده والآيات كتابه، ولو تعلقت الآية بالآية بعدها، ولم يُعرف عنه أنه جمع بين آيتين أو أكثر (إلا استعجل الخاتمة ولا وقرأ بالبقرة في ركعة مثلاً).
٤) وكان إذا مر بآية رحمة سأل الله الرحمة وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله من العذاب وإذا مر بآية تسبيح وتحميد سبح الله وحمده.
وكان إذا قرأ آية: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى» وإذا قرأ آية: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ قال: «سبحانك اللهم فبلى»، ونحو ذلك لا في صلاة الليل وحدها بل مطلقاً.
وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته؟